القنوط من رحمة الله

أسبابه ـ مظاهره ـ علاجه في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة

لفضيلة الدكتور إبراهيم بن عبدالله الحماد(١)

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾.

أما بعد:

فقد أرسل الله نبيه محمداً، فجعله خاتم النبيين، وجعل أمته

---

(١) أستاذ مساعد بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

خير الأمم فقال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[1]، ووصفها بالوسطية فقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[2]، فهي وسط بين الأمم، ودينها وسط بين الأديان، ظهرت وسطيتها في عقيدتها، وعباداتها، ومعاملاتها، وأخلاقها وسائر شؤون حياتها، بعيدة -بحمد الله- عن الغلو والتقصير، والإفراط والتفريط، والتشديد والتمييع، والإسراف والتقتير، ومن ثم فمن الواجب على أهل الإسلام التمسك بهذا الدين، والسير على هدي سيد المرسلين، وما كان عليه خير القرون من الصحابة والتابعين؛ إذ منه يستمد الناس هذا الدين، وبه النجاة يوم يقوم الناس لرب العالمين.

ولما كانت أمة الإسلام هي الوسط بين الأمم، كان السائرون على هدي الرسول ﷺ، وصحابته هم الوسط بين الفرق نفوا عن دين الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، فبهم قام الدين وبه قاموا، هم أهل السنة والجماعة، والطائفة الناجية، والفرقة المنصورة إلى قيام الساعة، ومن المظاهر التي تجلت فيها وسطية

---

(١) سورة آل عمران، الآية (١١٠).

(٢) سورة البقرة، الآية (١٤٣).

أهل السنة والجماعة بين الفرق ما يتعلق بأعمال القلوب كالتوكل، والمحبة، والخوف، والرجاء ونحو ذلك فانعكس أثر هذه الوسطية على أعمال الجوارح.

والبعد عن هذه الوسطية كان سبباً في الوقوع في كثير من الانحرافات العقدية ومن ذلك مايتعلق بعبادة الخوف من الله تعالى فتجاوز بها قوم الحد فخرج بهم إلى القنوط من رحمة الله عز وجل، وتهاون بها آخرون فأوقعهم في الأمن من مكر الله، وتوسط في ذلك أهل السنة والجماعة فجمعوا بين الخوف والرجاء فلم يأمنوا مكر الله تعالى ولم يقنطوا من رحمة الله عملاً بقوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴾(١)، وفي هذا البحث محاولة لبيان أن القنوط من رحمة الله عز وجل هو انحراف عن منهج الوسطية، وذكر لبعض أسبابه، وعرض لشيء من مظاهره، وإيضاح لجوانب من علاجه .

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

كان من دوافع هذا البحث ما يلي:

١. إبراز عقيدة أهل السنة والجماعة، وبيان وسطيتها تمسّ الحاجة إليه في كل وقت، وتتأكد في وقتنا المعاصر الذي

---

(١) سورة الإسراء، الآية (٥٧) .

وُجهت فيه السهام لهذه العقيدة .

٢. عبادة الخوف من الله تعالى من أجلّ العبادات وأعظمها، بل هي أحد أركان العبادة الثلاثة: المحبة والخوف والرجاء، ولا يتصور وجود عبادة صحيحة إلا بذلك، لكنّ الإتيان بها على غير الطريقة الصحيحة يوقع الإنسان في القنوط من رحمة الله، أو الأمن من مكره.

٣. سلك بعض الوعّاظ مسلكاً مخالفاً لما كان عليه النبي، وأصحابه في الوعظ، فاقتصروا في وعظهم على الترهيب والتخويف، والوعيد والتهديد فكان ذلك سبباً في قنوط بعض من استمع إليهم من رحمة الله تعالى، وفي الأثر: الفقيه كل الفقيه من لم يقنّط الناس من رحمة الله، ولم يؤيسهم من روح الله ولم يؤمنهم من مكر الله[1].

٤. تأخر الغيثُ عن بعض بلاد المسلمين، واحتبس المطر عن كثير من مناطقها، وقد صلّى المسلمون الاستسقاء أكثر من مرة فلم ينزل الغيث، ولاشك أن ذلك بسبب الذنوب والمعاصي، والواجب في مثل ذلك الرجوع الصادق إلى الله

(١) أورده ابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله ٤٥/٢، وقال: لا يأتي هذا الحديث مرفوعاً إلا من هذا الوجه وأكثرهم يوقفونه على علي ﷺ.

تعالى، وتذكير الناس بالتوبة إلى الله ونحو ذلك من الأسباب التي ترفع البلاء، ولا ينبغي تقنيط الناس من رحمة الله تعالى، وتجاوز ذلك إلى ألفاظ محذورة شرعاً كالقول: بأن الله لن يرحمنا، أو لا نستحق رحمة الله، أو لسنا أهلاً لرحمة الله وماشابه ذلك من ألفاظ مطلقة من غير تقييد.

٥. نيل الكفار من النبي ﷺ، وتكرار ذلك منهم، واستعلاؤهم على المسلمين وانتهاك حرماتهم وأوطانهم دفع ببعض الناس إلى القنوط من نصر الله وفرجه.

٦. يحل ببعض الناس شيء من مصائب الدنيا كالفقر، والمرض، وعدم الولد ونحو ذلك فيسري إليه القنوط من رحمة الله تعالى من تغير حاله.

٧. تتأخر إجابة دعاء بعض الناس، وقد لا يتحقق له مطلوبه في دعائه فيقنط من ذلك ويترك الدعاء.

٨. عدم الوقوف على دراسة مستقلة تحدثت عن القنوط من رحمة الله تعالى، وإنما يأتي الحديث عنها في باب الخوف من الله كنوع من أنواع الخوف المذموم، لكن لم أجد من أفرده في بحث مستقل.

أهداف البحث:

١. بيان وسطية أهل السنة والجماعة في باب الخوف والرجاء،

وتحذيرهم من القنوط من رحمة الله تعالى.

٢. ذكر بعض أسباب ومظاهر القنوط من رحمة الله تعالى.

٣. إيضاح بعض جوانب علاج القنوط من رحمة الله تعالى.

خطة البحث:

جاء هذا البحث في مقدمة وستة مباحث وخاتمة .

أما المقدمة فذكرت فيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وأهدافه، وخطته، ومنهج البحث فيه .

المبحث الأول: تعريف القنوط، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف القنوط في اللغة .

المطلب الثاني: المراد بالقنوط من رحمة الله تعالى.

المطلب الثالث: الفرق بين اليأس والقنوط .

المبحث الثاني: التحذير من القنوط في القرآن الكريم والسنة النبوية، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التحذير من القنوط في القرآن الكريم .

المطلب الثاني : التحذير من القنوط في السنة النبوية .

المبحث الثالث: وسطية أهل السنة والجماعة في باب الخوف والرجاء .

المبحث الرابع: أسباب القنوط من رحمة الله تعالى.

المبحث الخامس: مظاهر القنوط من رحمة الله تعالى.

المبحث السادس: علاج القنوط من رحمة الله تعالى.

ثم الخاتمة وذكرت فيها أهم النتائج، وجعلت ملحقاً في آخر البحث للمصادر والمراجع .

منهج البحث:

سلكت في هذا البحث المنهج التالي:

١. اعتمدت في هذا البحث على أقوال شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وغيرهما من أئمة أهل السنة في الاعتقاد .

٢. استفدت عند الاستدلال بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية من أقوال المفسرين، وشراح كتب الحديث .

٣. قد أذكر في موضع واحد أكثر من نقل، إما لزيادة معنى، أو تأكيده .

٤. عزو الآيات القرآنية وذلك بذكر اسم السورة ورقم الآية.

٥. تخريج الأحاديث النبوية، وذكر حكم العلماء عليها إذا لم تكن في الصحيحين، أو أحدهما لتلقي الأمة لهما بالقبول .

٦. توثيق النقول بذكر مصادرها .

٧. اكتفيت بذكر سنة الوفاة للأعلام الوارد ذكرهم في متن البحث .

٨. جعلت ملحقاً في آخر البحث للمصادر والمراجع تسهيلاً في الرجوع إليها .

وبعد فهذا جهد متواضع، واجتهاد في إبراز جانب من وسطية أهل السنة والجماعة فيما يتعلق بالخوف من الله تعالى، وعدم القنوط من رحمته فما كان في هذا العمل من صواب فمن الله وحده ﷻ وبفضله وتوفيقه وتسديده، وما كان فيه من خطأ وزلل وتقصير فمن نفسي والشيطان، وأستغفر الله من ذلك .

كما أسأله ﷻ أن يوفقنا لصالح القول والعمل، وأن يرزقنا الفقه في الدين، والسير على طريقة سيد المرسلين ﷺ، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث الأول: تعريف القنوط:

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف القنوط في اللغة:

القُنوط بالضم مصدر للفعل قنَط يَقْنِط قنُوطاً مثل جلس يجلس جلوساً[١]، قال ابن فارس[ت٣٩٥هـ]: «القاف والنون والطاء كلمة صحيحة تدل على اليأس من الشيء، يقال: قنَط يقنَط، وقنِط يقنُط،

(١) ينظر: لسان العرب ٣/٣٨٦ .

قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾[1][2]، وقال الراغب الأصفهاني رحمه الله [ت٥٠٢هـ]: «**القنوط**: اليأس من الخير»[3]، وفي النهاية لابن الأثير رحمه الله [ت٦٠٦هـ] «هو أشد اليأس من الشيء»[4].

المطلب الثاني: المراد بالقنوط من رحمة الله:

ذكر العلماء للقنوط من رحمة الله سبحانه وتعالى معاني عديدة، وعند التأمل يتبين أن هذه المعاني متقاربة، وليست مختلفة المدلول، فمن هذه المعاني:

١. ما ورد عن الحسن البصري رحمه الله [ت١١٠هـ] أنه قال: «القنوط ترك فرائض الله سبحانه وتعالى في السر»[5]، ومعنى قول الحسن رحمه الله: إذا تراكمت عليه الذنوب أيس من نفسه فرفض الكل وقال: قد استوجبتُ النار[6].

---

(١) سورة الحجر، الآية (٥٦) .

(٢) مقاييس اللغة ٣٢/٥.

(٣) المفردات في غريب القرآن: ٤١٣/١ .

(٤) النهاية في غريب الحديث١١٣/٤.

(٥) ينظر: نوادر الأصول ٩٤/١، الجامع لأحكام القرآن ٣٤/١٤، فتح القدير٢٢٥/٤.

(٦) ينظر: نوادر الأصول ٩٤/١ .

٢. قول الجمهور في معنى القنوط هو: الإياس من رحمة الله[١].

٣. القنوط هو: اليأس من فضل الله [٢].

٤. القنوط هو: استبعاد فرج الله، واليأس منه [٣].

٥. القنوط هو: استبعاد الرحمة، واستبعاد حصول المطلوب[٤].

وجميع هذه المعاني متقاربة، ولعل القول بأن المراد بالقنوط من رحمة الله سبحانه وتعالى هو: الإياس من رحمته يشمل هذه المعاني كلها، إذ التارك لفرائض الله في السر إنما قاده إلى ذلك الإياس من رحمة الله، كما أن استبعاد الفرج واستبعاد حصول المطلوب واليأس من فضل الله هي من أنواع الإياس من رحمته سبحانه وتعالى.

المطلب الثالث: الفرق بين اليأس والقنوط:

اختلف العلماء في الفرق بين اليأس والقنوط على أقوال منها:

١. أن ظاهر القرآن يدل على أن اليأس أشدّ من القنوط، حيث حكم على أهل اليأس بالكفر فقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١٤/٣٤، فتح القدير ٤/٢٢٥.

(٢) ينظر: زاد المسير ٦/٣٠٣ .

(٣) ينظر: فتح المجيد ٢/٥٩٨ .

(٤) ينظر: القول المفيد ٢/٦٨٧ .

﴿رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[1]، وحكم على أهل القنوط بالضلال[2] كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾[3]، ومعلوم أن كل كفر ضلال، وليس كل ضلال كفراً فقد قال الله تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾[4]، كما قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾[5]، وقال عز وجل لسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾[6] وليس الضلال في هذه الآيات بمعنى الكفر.

٢. أنه لا فرق بينهما، ووصْفُ أهل اليأس بالكفر وأهل القنوط بالضلال لا يدل على الفرق، فالضَّلالُ والكفرُ يجتمعان، ويقال: هو ضالٌّ، ويقال: هو كافر فهما وصفان مترادفان؛ فالكفر يسمَّى ضلالاً؛ كما قال الله تعالى: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ

(١) سورة يوسف: الآية (٨٧).

(٢) ينظر: تيسير العزيز الحميد ص٥١٠ .

(٣) سورة الحجر، الآية (٥٦).

(٤) سورة الشعراء، الآية (٢٠).

(٥) سورة القلم، الآية (٢٦).

(٦) سورةالضحى، الآية (٧).

عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾[(١)][(٢)].

٣. الفرق بينهما باعتبار بعض الصفات لا باعتبار أصل المعنى، وإلا فإن القنوط من الرحمة واليأس من الروح بمعنى واحد، لكن يختلفان من حيث ما يتناوله هذا ويتناوله هذا، فالقنوط من رحمة الله عام ؛ لأن الرحمة أعم من الروح، والرحمة تشمل جلب النعم ودفع النقم، وروح الله - جل وعلا - يطلق في الغالب في الخلاص من المصائب، فقوله: «القنوط من رحمة الله» في أثر ابن مسعود رضي الله عنه: «أَكْبَرُ الْكَبَائِرِ: الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَالأَمْنُ من مَكْرِ اللَّهِ، وَالْقُنُوطُ من رَحْمَةِ اللَّهِ، وَالْيَأْسُ من رَوْحِ اللَّهِ»[(٣)] هذا أعم؛ ولهذا قدمه فيكون ما بعده من عطف الخاص على العام، أو أن يكون هناك ترادف في أصل المعنى، واختلاف في الصفات، أو بعض ما يتعلق باللفظ[(٤)].

٤. اليأس: انقطاع الطمع من الشيء، والقنوط: أخص منه، فهو أشد

---

(١) سورة الفاتحة، الآية (٧).

(٢) ينظر: المنتقى من فتاوى الشيخ صالح الفوزان ١/١٥١.

(٣) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه١٠/٤٥٩، والطبراني في الكبير٩/١٧١، وقال: الهيثمي في مجمع الزوائد ١/١٣٧: إسناده صحيح.

(٤) ينظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص ٣٧٥ .

اليأس[1]، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾[2][3].

٥. اليأس: أن يستبعد زوال المكروه، والقنوط: أن يستبعد رحمة الله سبحانه وتعالى ويستبعد حصول المطلوب، وسبب التفريق لئلا يحصل تكرار في أثر ابن مسعود رضي الله عنه السابق حيث فرّق بين اليأس والقنوط[4].

٦. اليأس: عدم أمل وقوع شيء من أنواع الرحمة له، والقنوط: هو ذاك مع انضمام حالة هي أشد منه في التصميم على عدم الوقوع[5].

٧. اليأس هو: انعدام الأمل في القلب، ومتى ما وصل ذلك إلى درجة شديدة بنحو ينعكس على مظهر الإنسان أصبح قنوطاً، وعلى هذا فاليأس صفة للقلب وهو: أن يقطع رجاءه من الخير وهي المؤثرة، وما يظهر على الصورة من التضاؤل والانكسار هو القنوط[6].

---

(١) ينظر: الفروق اللغوية ٤٣٦/١ .

(٢) سورة الزمر، الآية (٥٣).

(٣) ينظر: روح المعاني ١١٦/٩ .

(٤) ينظر: القول المفيد٦٨٧/٢ .

(٥) ينظر: روح المعاني ١١٦/٩.

(٦) ينظر: المصدر السابق ٢٥/٤.

والراجح -والله أعلم- وجود الفرق بين اليأس والقنوط حال اجتماعهما في اللفظ كقوله تعالى: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ﴾[1] قال ابن جرير [ت٣١٠هـ] في معنى الآية: «إن ناله ضر في نفسه من سقم، أو جهد في معيشته، أو احتباس من رزقه فيئوس قنوط، يقول: فإنه ذو يأس من روح الله وفرجه، قنوط من رحمته، ومن أن يكشف ذلك الشر النازل به عنه»[2]، وكما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً قال: يا رسول الله ما الكبائر؟ قال: «**الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَالإِيَأسُ من رَوْحِ اللَّهِ، وَالْقُنُوطُ من رَحْمَةِ اللَّهِ**» وقول ابن مسعود ﷺ السابق: «أَكْبَرُ الْكَبَائِرِ: الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَالأَمْنُ من مَكْرِ اللَّهِ، وَالْقَنُوطُ من رَحْمَةِ اللَّهِ، وَالْيَأْسُ من رَوْحِ اللَّهِ»، قال الشيخ ابن عثيمين [ت١٤٢١هـ]: «المراد بالقنوط: أن يستبعد رحمة الله ويستبعد حصول المطلوب، والمراد باليأس هنا أن يستبعد الإنسان زوال المكروه، وإنما قلنا ذلك؛ لئلا يحصل تكرار في كلام ابن مسعود»[3]. فدل ذلك على الفرق بينهما حال اجتماعهما في اللفظ، وأما إذا افترقا في اللفظ فالظاهر - والله أعلم - أنهما بمعنى واحد.

---

(١) سورة فصلت، الآية (٤٩).

(٢) جامع البيان ٢/٢٥.

(٣) القول المفيد ٦٨٧/٢ .

وأما القول بأن اليأس أشد من القنوط لكون ظاهر القرآن حكم على أهل اليأس بالكفر فقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[1]، بينما حكم على أهل القنوط بالضلال قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾[2] فلا يلزم منه أن يكون اليأس أشد، إذ ربما يكون الحكم بالضلال زائداً على الحكم بالكفر فيجتمع فيه وصفان شنيعان لقبح الفعل وشدته كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[4] فحكم هنا على من دعا غير الله بالكفر، وحكم عليه في موضع آخر بالضلال فقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ﴾[5]، ومما يشعر بأن القنوط أشد من اليأس الفرق اللغوي، حيث جعل القنوط أشد أنواع اليأس.

---

(١) سورة يوسف، الآية (٨٧).

(٢) سورة الحجر، الآية (٥٦) .

(٣) سورة آل عمران، الآية (٩٠).

(٤) سورة المؤمنون، الآية (١١٧).

(٥) سورة الأحقاف، الآية (٥).

المبحث الثاني:

التحذير من القنوط من رحمة الله في القرآن الكريم والسنة النبوية

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التحذير من القنوط من رحمة الله في القرآن الكريم:

حذّر القرآن الكريم من القنوط بصور متعددة وأساليب متنوعة، وذلك من أجل بعث الأمل والرجاء وبث روح الأمل والتفاؤل عند من يحصل له أي نوع من أنواع اليأس والقنوط، ومن تلك الصور والأساليب التي جاءت في القرآن الكريم محذرة من القنوط ما يلي:

١. نهيُ العبادِ جميعاً عن القنوط من رحمة الله سبحانه وتعالى كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[١]، قال ابن عطية رحمه الله [ت٥٤٦هـ]: «هذه الآية عامة في جميع الناس إلى يوم القيامة في كافر ومؤمن أي: إن توبة الكافر تمحو ذنوبه، وتوبة العاصي تمحو ذنبه»[٢]، وقال ابن كثير رحمه الله [ت٧٧٤هـ]: «هذه الآية الكريمة دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة وإخبار بأن الله

---

(١) سورة الزمر، الآية (٥٣).

(٢) المحرر الوجيز ٥٣٦/٤ .

- تبارك وتعالى- يغفر الذنوب جميعاً لمن تاب منها ورجع عنها وإن كانت مهما كانت، وإن كثرت وكانت مثل زبد البحر، ولا يصح حمل هذه على غير توبة؛ لأن الشرك لا يغفر لمن لم يتب منه»[1]، وقد اختلف في سبب نزول هذه الآية[2] فقيل: نزلت في وحشي قاتل حمزة [ت٣هـ] رضي الله عنه لما أراد أن يسلم وخاف أن لا يغفر له ما وقع فيه من قتل حمزة رضي الله عنه، وقيل: نزلت في قوم آمنوا ولم يهاجروا ففتنوا فافتتنوا ثم ندموا وظنوا أنهم لا توبة لهم، وقيل: نزلت في قوم من أهل الجاهلية قالوا: ما ينفعنا الإسلام لأننا قد زنينا وقتلنا النفوس فنزلت الآية فيهم، وأيّاً كان سبب نزولها فإن العبرة إنما هي بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، قال الشوكاني [ت١٢٥٠هـ]: «هب أنها في هؤلاء القوم، فكان ماذا؟، فإن الاعتبار بما اشتملت عليه من العموم لا بخصوص السبب كما هو متفق عليه بين أهل العلم، ولو كانت الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية مقيدة بأسبابها غير متجاوزة لها لارتفعت أكثر التكاليف عن الأمة إن لم ترتفع كلها، واللازم

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٤/٥٩ .

(٢) ينظر: أسباب النزول للواحدي ص ٢٧٦ -٢٧٧ .

باطل بالإجماع، فالملزوم مثله»[1]،وقد روي أن رسول الله ﷺ قال: «ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية: ﴿ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ﴾»[2]، كما نقل عن على بن أبي طالب وابن مسعود رضي الله عنهما أن هذه أرجى آية في كتاب الله[3] وقد اشتملت هذه الآية على معان عظيمة في الرجاء، والنظر إلى سعة رحمة الله تعالى وذكر بعض المفسرين في الآية سبعة عشر أمراً كلها تؤكد سعة رحمة الله سبحانه وتعالى، وعظيم فضله وإنعامه، وتلك المؤكدات هي[4]:

- **الأول**: نداؤهم بعنوان العبودية فإنها تقتضي المذلة، واقتضاؤها للترحم ظاهر.
- **الثاني**: الاختصاص الذي تشعر به الإضافة إلى ضميره - تعالى - فإن السيد من شأنه أن يرحم عبده ويشفق عليه.
- **الثالث**: تخصيص ضرر الإسراف المشعر به ﴿ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ فكأنه قيل: ضرر الذنوب عائد عليهم لا علي،

---

(١) فتح القدير ٤/٤٧٠ .

(٢) رواه الطبراني في الأوسط ١/٦٢، وفي سنده ابن لهيعة وقد تُكلم في حفظه .

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٢٠/٩٦، والتسهيل لعلوم التنزيل٣/١٩٧.

(٤) ينظر: روح المعاني٢٤/١٤.

فيكفي ذلك من غير ضرر آخر.

- **الرابع**: النهي عن القنوط مطلقاً عن الرحمة، فضلاً عن المغفرة وإطلاقها.
- **الخامس**: إضافة الرحمة إلى الاسم الجليل المحتوي على جميع معاني الأسماء على طريق الالتفات فإن ذلك ظاهر في سعتها.
- **السادس**: التعليل بقوله -تعالى-: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ..الخ﴾ فإن التعليل يحسن مع الاستبعاد وترك القنوط من الرحمة .
- **السابع**: وضع الاسم الجليل فيه موضع الضمير لإشعاره بأن المغفرة من مقتضيات ذاته .
- **الثامن**: تعريف الذنوب فإنه في مقام التمدح ظاهر في الاستغراق .
- **التاسع**: التأكيد بالجميع.
- **العاشر**: التعليل بأنه {هو} ... الخ.
- **الحادي عشر**: التعبير بالغفور فإنه صيغة مبالغة.
- **الثاني عشر**: حذف معمول ﴿ٱلْغَفُورُ﴾ فإن حذف المعمول يفيد العموم.
- **الثالث عشر**:إفادة الجملة الحصر فإن من المعلوم أن الغفران قد يوصف به غيره -تعالى-، فالمحصور فيه

-سبحانه- إنما هو الكامل العظيم .

- **الرابع عشر**: المبالغة في ذلك الحصر.
- **الخامس عشر**: الوعد بالرحمة بعد المغفرة فإنه مشعر بأن العبد غير مستحق للمغفرة لولا رحمته .
- **السادس عشر**: التعبير بصيغة المبالغة فيها.
- **السابع عشر**: إطلاقها.

١. وصْفُ القانطين بالضلال حيث قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾[1] فلا ييأس من رحمة الله إلا القوم الذين قد أخطؤوا سبيل الصواب وتركوا قصد السبيل في تركهم رجاء الله لأنهم لا علم لهم بربهم، وكمال اقتداره فضلّوا بذلك عن دين الله، وأما من أنعم الله عليه بالهداية والعلم العظيم، فلا سبيل للقنوط إليه؛ لأنه يعرف من كثرة الأسباب والوسائل والطرق لرحمة الله شيئاً كثيراً [2].

٢. بيان أن القنوط إنما يصيب أهل الغفلة عن نعم الله وآلائه، المعرضين عن تذكر منن الله على عباده كما قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُواْ بِهَاۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ

(١) سورة الحجر، الآية (٥٦).

(٢) ينظر: جامع البيان١٤/٢٠، تيسير الكريم الرحمن١/٤٣٢.

إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾[1]، فأهل القنوط هم من إذا أصابهم خصب ورخاء وعافية في الأبدان والأموال فرحوا بذلك، وإن تصبهم شدة من جدب وقحط وبلاء في الأموال والأبدان بما قدمت أيديهم، وبما أسلفوا من سيئ الأعمال بينهم وبين الله، وركبوا من المعاصي إذا هم ييأسون من الفرج[2].

٣. القنوط حالة من الحالات التي تعتري الكفار ومن سلك مسلكهم الذين يريدون استمرار الخير لهم، وعدم انقطاعه عنهم فهم يطلبون الصحة والمال والسلطان والعزة والسعة في النعمة وأسباب المعيشة، وإن تغيّرت حالتهم من السعة إلى الضيق، ومن اليسر إلى العسر، ومن الغنى إلى الفقر أصابهم اليأس والقنوط، وهذه الحالة هي المذكورة في قوله تعالى: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴾[3]، ففي هذين الوصفين مبالغة من جهة البناء، ومن جهة التكرير، ومن جهة أن القنوط عبارة عن يأس مفرط يظهر أثره في الشخص فيتضاءل وينكسر، أي: مبالغ في قطع الرجاء من فضل الله وهذا وصف للجنس

---

(١) سورة الروم، الآية (٣٦).

(٢) ينظر: جامع البيان٢١/٤٤.

(٣) سورة فصلت، الآية (٤٩).

بوصف غالب أفراده لأن اليأس من رحمته لا يتأتى إلا من الكافر أو من سلك مسلكه [1].

المطلب الثاني: التحذير من القنوط في السنة النبوية:

جاءت الأحاديث عن النبي ﷺ، تذكّر بسعة فضل الله ورحمته، وتذم القنوط وأهله، وتحذّر من سلوكه، وتبيّن خطره، وأن الواجب على المسلم ترك القنوط من رحمة الله تعالى، مع عدم الاتكال على سعة رحمته عز وجل وإن كثرت أعماله، فمن تلك الأحاديث:

١. ما رواه أبو هريرة [ت ٥٧هـ] رضي الله عنه أن النبي ﷺ، قال: «لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنْ الْعُقُوبَةِ مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنْ الرَّحْمَةِ مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ» [2]، قال ابن حجر رحمه الله [ت ٨٥٢هـ] مبيناً معنى الحديث: «قيل: المراد إن الكافر لو يعلم سعة الرحمة لغطى على ما يعلمه من عظم العذاب فيحصل له الرجاء، أو المراد أن متعلق علمه بسعة الرحمة مع عدم التفاته إلى مقابلها يطمعه في الرحمة، فمن علم أن من صفات الله -تعالى- الرحمة

---

(١) ينظر: تفسير أبي السعود ١٨/٨ .

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب الرجاء مع الخوف ح٦٤٦٩، ومسلم في كتاب التوبة، في سعة رحمة الله -تعالى-، وأنها سبقت غضبه ح٤٩٤٨ .

لمن أراد أن يرحمه والانتقام ممن أراد أن ينتقم منه: لا يأمن انتقامه من يرجو رحمته، ولا ييأس من رحمته من يخاف انتقامه، وذلك باعث على مجانبة السيئة ولو كانت صغيرة وملازمة الطاعة ولو كانت قليلة»[1].

٢. حديث فضالة بن عبيد [ت٥٣هـ] ﷺ أن النبي ﷺ قال: «ثَلاثَةٌ لا تَسْأَلْ عَنْهُمْ رَجُلٌ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ وَعَصَى إِمَامَهُ وَمَاتَ عَاصِيًا، وَأَمَةٌ أَوْ عَبْدٌ أَبَقَ فَمَاتَ، وَامْرَأَةٌ غَابَ عَنْهَا زَوْجُهَا قَدْ كَفَاهَا مُؤْنَةَ الدُّنْيَا فَتَبَرَّجَتْ بَعْدَهُ فَلا تَسْأَلْ عَنْهُمْ، وَثَلاثَةٌ لا تَسْأَلْ عَنْهُمْ رَجُلٌ نَازَعَ اللَّهَ ﷻ رِدَاءَهُ فَإِنَّ رِدَاءَهُ الْكِبْرِيَاءُ وَإِزَارَهُ الْعِزَّةُ، وَرَجُلٌ شَكَّ فِي أَمْرِ اللَّهِ، وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ»[2].

فهذا ظاهر في أن القانط من رحمة الله مصيره إلى الهلاك، وقوله: (لا تَسْأَلْ عَنْهُمْ) مبالغة في بيان مآلهم، والتحذير من سلوك نهجهم وسبيلهم، والبعد عن طريقتهم وحالهم حيث وصلوا في الهلاك والبعد درجة لا يُسأل معها عن مصيرهم وعاقبتهم؛ لأن القنوط يُبعد المطلوب، ويورث الحسرة، إذ هو يقنط الإنسان من

(١) فتح الباري ١١ / ٣٠٣.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ١٩/٦، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد ٢٠٧/١ .

رحمة أرحم الراحمين[١].

٣. لخطورة القنوط من رحمة الله سبحانه وتعالى، وما يترتب عليه من مفاسد عظيمة جعله النبي ﷺ من الكبائر، بل جعله قريناً للشرك بالله كما في حديث ابن عباس [ت٦٨هـ] رضي الله عنهما أن رجلاً قال: يا رسول الله ما الكبائر؟ قال: «الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَالإِيَاسُ من رَوْحِ اللَّهِ، وَالْقُنُوطُ من رَحْمَةِ اللَّهِ»[٢].

المبحث الثالث:

وسطية أهل السنة والجماعة في باب الخوف والرجاء

تميّز منهج أهل السنة والجماعة بالوسطية والاعتدال في عقيدتهم بل وسائر أمورهم، بعيداً عن جانبي الإفراط والتفريط، والغلو والتقصير، ومما تتضح به وسطيتهم هذا الباب من أبواب الاعتقاد، ولذا نبّهوا عليه كثيراً في مصنفاتهم الاعتقادية، وأوضحوا الواجب على العبد فيه، واتفقوا على أن العبد يجب عليه أن يجمع بينهما في حياته، وأن فَقْدَ واحد منهما انحراف عن المنهج الحق،

---

(١) ينظر: فتح الحميد شرح كتاب التوحيد ٣ /١٤٦٩.

(٢) أورده الهيثمي في: كشف الأستار عن زوائد البزار ١/٧١ح١٠٦، ومجمع الزوائد ١/١٣٧ح٣٩١ وقال: رواه البزار، والطبراني، ورجاله موثقون، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة ١/٧٩.

وبعد عن الصراط المستقيم، بل الجمع بينهما مما دل عليه الكتاب والسنة وأجمع عليه سلف الأمة[1]، قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: «ينبغي أن يكون سائراً إلى الله بين الخوف والرجاء فأيهما غلب هلك صاحبه»[2]، وقد بيّن الشيخ صالح الفوزان وفقه الله وسطية أهل السنة والجماعة في هذا الباب فقال: «عقيدة أهل السنة والجماعة، الوسط بين الأمن من مكر الله، والإياس من رحمته، فهم يرجون رحمة الله، ولا يأمنون من مكر الله، ولا من العذاب والفتنة، لكن لا يقنطون من رحمة الله، فيجمعون بين الخوف والرجاء، وهو ما كان عليه الأنبياء، قال سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾[3] فهؤلاء هم الأنبياء، فخوفهم من الله لم يحملهم على القنوط من رحمة الله، قال سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[4]، وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾[5]، وأيضاً: رجاؤهم من الله لم يحملهم على الأمن من مكر الله، قال سبحانه: ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ

---

(١) ينظر: حاشية ابن قاسم على كتاب التوحيد ص٢٥٥ .

(٢) ينظر: الفتاوى الكبرى ٢/٢٧٥ .

(٣) سورة الأنبياء، الآية (٩٠).

(٤) سورة يوسف، الآية (٨٧).

(٥) سورة الحجر، الآية (٥٦).

﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾(١) فإبراهيم أبو الأنبياء يقول: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾(٢) فإبراهيم ما أمن على نفسه، ولكنه خاف الفتنة؛ لأنه بشر. فلا يأمن الإنسان على نفسه ويقول: أنا رجل صالح، بل يخاف على نفسه، مع عدم القنوط من رحمة الله، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾(٣)، فالواجب على الإنسان: أن يفعل أسباب الرحمة، وهي التوبة وإسلام الوجه لله -سبحانه-، عند ذلك يحصل على رحمة الله، فرحمة الله قريب من المحسنين، والإحسان سبب الرحمة، هذا مذهب أهل السنة والجماعة، وهو بين مذهب المرجئة الذين يقولون: لا يضر مع الإيمان معصية، فإذا كان الإنسان مؤمناً بقلبه فلا تضره المعصية، فهؤلاء أمنوا مكر الله، ويقولون: الأعمال لا تدخل في حقيقة الإيمان، فيدخل الجنة وإن لم يعمل شيئا عندهم، وهذا مذهب أفسد الدنيا، تحلل الناس من الدين بسببه، وقالوا: ما دام أننا ندخل الجنة، فلا حاجة إلى الأعمال، فيفعلون ما يشاؤون، وبين الوعيدية الخوارج الذين يكفرون بالكبائر

---

(١) سورة الأعراف، الآية (٩٩).

(٢) سورة إبراهيم، الآية (٣٥).

(٣) سورة الزمر، الآية (٥٣).

التي دون الشرك، ويرون إنفاذ الوعيد الذي ذكره الله على من عصاه، فإن الله توعد العصاة، لكن قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[1] فهم تحت المشيئة، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة، وهو الوسط، والقول الحق مع أهل السنة والجماعة الذين توسطوا بين الأمن والرجاء، والخوف والقنوط، ولهذا يقولون: الخوف والرجاء بالنسبة للإنسان كجناحي الطائر، ولابد من سلامة الجناحين، فكذلك الخوف والرجاء لو اختل أحدهما سقط، فلابد من التعادل كما يتعادل جناحا الطائر»[2]، وقال -أيضاً- مبيناً أهميتهما ووجوب اقتران المحبة معهما «من أصول العقيدة الإسلامية: الخوف والرجاء، وهما من أعظم أصول العقيدة، والخوف والرجاء لابد من الجمع بينهما، لا يكفي الاقتصار على واحد منهما فقط، كما قال -تعالى- في وصف أنبيائه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾[3] رغباً: هذا هو الرجاء، ورهباً: هذا هو الخوف، وقال تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ

---

(١) سورة النساء، الآية (٤٨).

(٢) التعليقات المختصرة على متن العقيدة الطحاوية ص١٣٠-١٣١ .

(٣) سورة الأنبياء، الآية (٩٠).

﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾[١] فهم يجمعون بين الخوف والرجاء، وقال - جل وعلا -: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾[٢] ولابد معهما من المحبة لله، فلابد من هذه الأمور الثلاثة: المحبة لله، والخوف منه سبحانه وتعالى، والرجاء لفضله »[٣].

المبحث الرابع: أسباب القنوط من رحمة الله تعالى:

للقنوط أسباب كثيرة ومتعددة، لعل من أهمها:

١. إسراف العبد على نفسه في المعاصي، والإفراط فيها، والاستكثار منها، فإن ذلك من أعظم ما يسبب القنوط، وهذا السبب هو ما يلمح إليه قوله سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ﴾[٤] فكأن في ذلك إشارة إلى أنه بسبب إسرافهم في معاصي الله تعالى، وإفراطهم فيها، وعدم التحرز منها، والبعد عنها سيستولي عليهم القنوط من رحمة الله سبحانه وتعالى[٥].

---

(١) سورة الإسراء، الآية (٥٧).

(٢) سورة الزمر، الآية (٩).

(٣) التعليقات المختصرة على متن العقيدة الطحاوية ص٧١ .

(٤) سورة الزمر، الآية (٥٣).

(٥) ينظر: القول السديد ص٦٥، فتح القدير ٤/٤٦٩ .

٢. الجهل بسعة رحمة الله سبحانه وتعالى، وعدم العلم بها [١]، وهذا هو صريح قول النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الرَّحْمَةَ يَوْمَ خَلَقَهَا مِائَةَ رَحْمَةٍ فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً وَأَرْسَلَ فِي خَلْقِهِ كُلِّهِمْ رَحْمَةً وَاحِدَةً، فَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ مِن الرَّحْمَةِ لَمْ يَيْئَسْ مِن الْجَنَّةِ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ مِن الْعَذَابِ لَمْ يَأْمَن مِنْ النَّارِ»[٢]، فالغفلة عن مثل ذلك، وعدم النظر فيها، وقطع العلاقة بها وبأمثالها داع قوي من دواعي القنوط من رحمة الله سبحانه وتعالى.

٣. الظن بأن الله تعالى لا يغفر له، ولا يرحمه، ولا يقبل توبته[٣]، قال ابن كثير رحمه الله: «لا يقنطن عبد من رحمة الله وإن عظمت ذنوبه وكثرت؛ فإن باب الرحمة والتوبة واسع: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ ﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[٥]، وقال -جل وعلا- في حق المنافقين:

---

(١) ينظر: التفسير الكبير للرازي١٩/١٥٧.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب الرجاء مع الخوف ح٥٩٨٨.

(٣) ينظر: القول المفيد ٢/٦٨٣.

(٤) سورة التوبة، الآية (١٠٤).

(٥) سورة النساء، الآية (١١٠).

﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ ﴾(١)، وقال جل جلاله: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(٢) ثم قال جلت عظمته: ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(٣)، وقال - تبارك وتعالى-: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ ﴾(٤) قال الحسن البصري -رحمة الله عليه-: انظروا إلى هذا الكرم والجود قتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة، والآيات في هذا كثيرة جداً(٥).

٤. إغلاق باب الرجاء بالله تعالى بالكلية، والاقتصار على الخوف، واعتقاد أن هذا هو المطلوب، بل يظن أن هذه هي الخشية المطلوبة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية [ت٧٢٨هـ]: «الخشية لا تكون ممن قطع بأنه معذب فإن هذا قطع بالعذاب يكون معه القنوط و اليأس و الإبلاس، ليس هذا خشية

---

(١) سورة النساء، الآيتان (١٤٥ - ١٤٦).

(٢) سورة المائدة، الآية (٧٣).

(٣) سورة المائدة، الآية (٧٤).

(٤) سورة البروج، الآية (١٠).

(٥) ينظر: تفسير القرآن العظيم٤/٥٩ .

وخوفاً، وإنما يكون الخشية و الخوف مع رجاء السلامة ولهذا قال: ﴿ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ﴾[1] فصاحب الخشية لله ينيب إلى الله كما قال: ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴾[2] وهذا يكون مع تمام الخشية والخوف»[3].

٥. نسيان قدرة الله تعالى عليه[4]، وإحاطته بكل ما يعمله، وأنه لو أراد لانتقم منه حال عصيانه وغفلته، وأن إمهاله إيّاه ليس عجزاً، بل هو فسحة في عمره ومد لحياته حتى يعود ويقلع من عصيانه، فإن استولت عليه الغفلة وطال به الرقاد ولم يسرع الرجوع خُشي عليه أن يلحق بركب من قال الله تعالى فيهم: ﴿ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾[5] قال ابن سعدي رحمه الله [ت١٣٧٦هـ]: «أي: أمددناهم

---

(١) سورة الشورى، الآية (٢٢).

(٢) سورة ق، الآيات (٣١ - ٣٤).

(٣) مجموع الفتاوى ١٧٦/١٦ .

(٤) ينظر: القول المفيد ٦٨٢/٢.

(٥) سورة الأنبياء، الآية (٤٤).

بالأموال والبنين، وأطلنا أعمارهم، فاشتغلوا بالتمتع بها، ولهوا بها، عما له خلقوا، وطال عليهم الأمد، فقست قلوبهم، وعظم طغيانهم، وتغلظ كفرانهم، فلو لفتوا أنظارهم إلى من عن يمينهم، وعن يسارهم من الأرض، لم يجدوا إلا هالكاً، ولم يسمعوا إلا صوت ناعية، ولم يحسوا إلا بقرون متتابعة على الهلاك، وقد نصب الموت في كل طريق لاقتناص النفوس الأشراك، ولهذا قال: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ﴾ أي: بموت أهلها وفنائهم، شيئاً فشيئاً، حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين. فلو رأوا هذه الحالة، لم يغتروا، ويستمروا على ما هم عليه ﴿أَفَهُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ﴾ الذين بوسعهم الخروج عن قدر الله ؟ وبطاقتهم الامتناع عن الموت ؟ فهل هذا وصفهم حتى يغتروا بطول البقاء ؟ أم إذا جاءهم رسول ربهم لقبض أرواحهم، أذعنوا، وذلوا، ولم يظهر منهم أدنى ممانعة؟![1].

٦. الاستماع للمقنّطين من رحمة الله عز و جل، والإنصات لهم، والاستسلام لكلامهم، والركون إلى أقوالهم باعث

(١) تيسير الكريم الرحمن ١/٥٢٤ .

قوي على القنوط من رحمة الله سبحانه وتعالى، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «طائفة من الناس. إذا رأوا من عمل من هذه الفواحش شيئاً أيّسوه من رحمة الله حتى يقول أحدهم: من عمل من ذلك شيئاً لا يفلح أبداً، ولا يرجون له قبول توبة،.... ويقولون: إن هذا لا يعود صالحاً ولو تاب، مع كونه مسلماً مقراً بتحريم ما فعل، ويُدخلون فى ذلك من استكره على فعل شيء من هذه الفواحش، ويقولون لو كان لهذا عند الله خير ما سلّط عليه من فعل به مثل هذا واستكرهه كما يفعل بكثير من المماليك طوعاً وكرهاً، وكما يفعل بأُجراء أهل الصناعات طوعاً وكرهاً، وكذلك من في معناهم من صبيان الكتاتيب وغيرهم ونسوا قوله تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [1]، وهؤلاء قد لا يعلمون صورة التوبة، وقد يكون هذا حالاً وعملاً لأحدهم، وقد يكون اعتقاداً فهذا من أعظم الضلال والغي، فإن القنوط من رحمة الله بمنزلة الأمن من مكر الله -تعالى-،

---

(١) سورة النور، الآية (٣٣).

وحالهم مقابل لحال مستحلي الفواحش فإن هذا أمن مكر الله بأهلها، وذاك قنّط أهلها من رحمة الله، والفقيه كل الفقيه هو الذي لا يؤيس الناس من رحمة الله، ولا يجرئهم على معاصي الله»[1]، وقال الشوكاني رحمه الله: «من ظنّ أن تقنيط عباد الله، وتأييسهم من رحمته أولى بهم مما بشرهم الله به، فقد ركب أعظم الشطط، وغلط أقبح الغلط، فإن التبشير، وعدم التقنيط جاءت به مواعيد الله في كتابه العزيز، ومسلك سلكه رسوله، كما صح عنه من قوله: «بَشِّرُوا ولا تُنَفِّرُوا وَيَسِّرُوا ولا تُعَسِّرُوا[2]»[3]، وفي الأثر أن ابن مسعود رضي الله عنه مر على قاصٍ وهو يذكّر الناس، فقال: «يا مذكّر لم تقنّط الناس من رحمة الله؟ ثم قرأ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾[4]»[5].

(١) مجموع الفتاوى: ١٥/٤٠٥-٤٠٦ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير ١٣٥٨/٣.

(٣) فتح القدير ٤/٤٦٩ بتصرف يسير.

(٤) سورة الزمر، الآية (٥٣).

(٥) أخرجه الطبري ٢٤ / ١٦، وأورده ابن كثير في تفسيره ٤/٦٠، وعزاه لابن أبي حاتم ولم أجده في تفسيره المطبوع، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٧/ ٢٣٧ =

٧. الجرأة على محارم الله عز وجل، والإصرار عليها، والتصميم على الإقامة على المعصية[١] فهو من أكبر البواعث على القنوط من رحمة الله عز وجل إذ به ينقطع الطمع في رحمة الله تعالى، وينعدم الرجاء به.

٨. عدم معرفة الكثير من الأسباب الجالبة لرحمة الله عز وجل، والوسائل الموصلة إلى فضله وإنعامه، والطرق المؤدية إلى بره وإحسانه[٢]، فمن أغفل معرفة ذلك، ولم يحرص على تعلمه والبحث عنه استولى عليه القنوط .

٩. الإقامة على الأسباب التي تمنع الرحمة، فلا يزال كذلك حتى يصير له هذا وصفاً وخلقاً لازماً، وهذا غاية ما يريده الشيطان من العبد، ومتى وصل إلى هذا الحد لم يرج له خير إلا بتوبة نصوح وإقلاع قوي[٣].

١٠. ضعف الإرادة ، وضعف النفس وعجزها ومهانتها فيخلد صاحبها إلى الكسل والدعة، ومن ثم لا يسعى إلى ما

= لعبد بن حميد، وابن أبي الدنيا، وابن أبي حاتم .

(١) ينظر: القول السديد ص٦٥ .

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن١/٤٣٢ .

(٣) ينظر: القول السديد ص٦٥ .

يوصله إلى ربه، وإلى رحمته وجوده وكرمه[١].

هذه بعض أسباب القنوط من رحمة الله عز وجل، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يقينا إيّاه، وأن يرزقنا السير على المنهج المستقيم، منهج الأنبياء والمرسلين عليهم السلام الذين توسطوا واعتدلوا في سيرهم إلى ربهم فكانوا يدعونه رغباً ورهباً، خوفاً وطمعاً، رجاءً ووجلاً فوصلوا إلى ربهم بأحسن طريق، وحصّلوا ما قصدوا، ونالوا ما رغبوا بأهدى سبيل فأصبحوا لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

المبحث الخامس:

مظاهر القنوط من رحمة الله سبحانه وتعالى:

تعددت أشكال ومظاهر القنوط من رحمة الله سبحانه وتعالى، وتنوعت صوره وألوانه، واختلفت سماته ومعالمه وذلك باختلاف الناس وأحوالهم، ومداركهم وتصوراتهم، ومن تلك المظاهر:

١. القنوط من مغفرة الله سبحانه وتعالى للذنوب، وقبول التوبة وهذا من أعظم مظاهر القنوط وأشدها خطراً، فإن الوصول إلى مثل هذه الدرجة يحجز صاحبها عن العودة والإياب إلى سعة رحمة الله ومغفرته، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «و القنوط يكون بأن يعتقد أن الله لا يغفر له إما

(١) ينظر: المصدر السابق .

لكونه إذا تاب لا يقبل الله توبته و يغفر ذنوبه، وإما بأن يقول: نفسه لا تطاوعه على التوبة، بل هو مغلوب معها، والشيطان قد استحوذ عليه فهو ييأس من توبة نفسه، وإن كان يعلم أنه إذا تاب غفر الله له، و هذا يعتري كثيراً من الناس، و القنوط يحصل بهذا تارة و بهذا تارة، فالأول: كالراهب الذي أفتى قاتل تسعة و تسعين أن الله لا يغفر له فقتله وكمل به مائة ثم دل على عالم فأتاه فسأله فأفتاه بأن الله يقبل توبته و الحديث فى الصحيحين[1]، و الثاني: كالذى يرى للتوبة شروطاً كثيرة، ويقال له: لها شروط كثيرة يتعذر عليه فعلها فييأس من أن يتوب»[2]، وهذا المظهر من مظاهر القنوط من رحمة الله تعالى هو ما جاء في القرآن الكريم النهي عنه صريحاً في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[3]، والتحذير منه، ووصف أهله بالضلال في

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب٥٤،ح٣٤٧٠، ومسلم في كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل٤/٢١١٨.

(٢) مجموع الفتاوى ١٦/١٩-٢٠ .

(٣) سورة الزمر، الآية (٥٣).

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾[١].

٢. القنوط عند تأخر نزول الغيث واحتباس المطر مظهر من مظاهر القنوط من رحمة الله التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، وسنة النبي ﷺ، ففي القرآن الكريم يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾[٢]، قال الشيخ ابن سعدي رحمه الله في تفسيره لهذه الآية: «انقطع عنهم مدة، وظنوا أنه لا يأتيهم، وأيسوا وعملوا لذلك الجدب أعمالاً، فينزل الله الغيث وينشر به رحمته من إخراج الأقوات للآدميين، وبهائمهم، فيقع عندهم موقعاً عظيماً، ويستبشرون بذلك ويفرحون»[٣]، وجاء رجل إلى عمر بن الخطاب ﷺ فقال يا أمير المؤمنين: قحط المطر وقنط الناس، قال: «مطرتم ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ﴾»[٤]، ومما يدل على ذلك المظهر -أيضاً- قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ

(١) سورة الحجر، الآية (٥٦).

(٢) سورة الشورى، الآية (٢٨).

(٣) تيسير الكريم الرحمن ص٧٥٨

(٤) أورده ابن جرير في تفسيره ٣١/٢٥.

مِنْ خِلَٰلِهِۦ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴾[1]، قال ابن جرير رحمه الله: «وكان هؤلاء الذين أصابهم الله بهذا الغيث من عباده من قبل أن ينزل عليهم هذا الغيث من قبل هذا الغيث لمبلسين يقول لمكتئبين حزنين باحتباسه عنهم»[2].

وأما السنة ففي الحديث عن النبي ﷺ، أنه قال: «ضحك ربنا من قنوط عباده وقرب غيره قال: قلت يا رسول الله أو يضحك الرب عز وجل قال: نعم، قال: لن نعدم من رب يضحك خيراً»[3]، قال الشيخ محمد خليل هراس رحمه الله [ت١٣٩٥هـ]: «هذا العَجَب الذي وصف به الرسولُ ربَّه هنا من آثار رحمته، وهو من كماله -تعالى-، فإذا تأخَّر الغيث عن العباد مع فقرهم وشدَّة حاجتهم، واستولى عليهم اليأس والقنوط، وصار نظرهم قاصراً على الأسباب الظاهرة، وحسبوا أن لا يكون وراءها فرجٌ من القريب المجيب؛ فيعجب الله منهم»[4].

٣. القنوط عند حصول البلاء والفقر والمرض ونحو ذلك

---

(١) سورة الروم، الآيتان (٤٨ – ٤٩).

(٢) جامع البيان٢١/٥٤ .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده٤/١١، وابن ماجه في المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية، وحسّنه شيخ الإسلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى ٣/١٣٩ .

(٤) شرح العقيدة الواسطية ص١٧٠ .

مظهـر مـن مظاهر القنـوط مـن رحمـة الله سـبحانه وتعـالى يعتري فئة ليست قليلة من الناس كما قال عز وجل: ﴿ وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ فَرِحُواْ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ إِذَا هُمۡ يَقۡنَطُونَ ﴾[1]، قال الشيخ ابن سعدي رحمه الله: «يخبر -تعالى- عـن طبيعـة أكثر النـاس في حـالي الرخـاء والـشدة أنهـم إذا أذاقهم الله منه رحمة من صحة، وغنى، ونصر ونحو ذلك فرحوا بذلك فرح بطر لا فرح شكر، وتبجح بنعمة الله ﴿ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ ﴾ أي: حال تسوؤهم وذلك﴿ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ ﴾ مـن المعاصـي.﴿ إِذَا هُمۡ يَقۡنَطُونَ ﴾ييأسـون مـن زوال ذلـك الفقر، والمرض، ونحوه»[2]، ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿ لَّا يَسۡـَٔمُ ٱلۡإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلۡخَيۡرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٞ قَنُوطٞ ﴾[3] فهذا «إخبار عن طبيعة الإنسان من حيث هو، وعدم صبره وجلده، لا على الخير، ولا على الشر، إلا من نقله الله من هذه الحال، إلى حال الكمال، فقال:﴿ لَّا يَسۡـَٔمُ ٱلۡإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلۡخَيۡرِ ﴾ أي: لا يمل دائماً، من دعاء الله، بالفوز، والمال، والولد، وغير ذلك، من مطالب الدنيا. ولا يزال يعمل على

(١) سورة الروم، الآية (٣٦).

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص٦٤٢ .

(٣) سورة فصلت، الآية (٤٩).

ذلك، ولا يقتنع بقليل ولا بكثير منها. فلو حصل له من الدنيا ما حصل، لم يزل طالباً للزيادة﴿ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ ﴾ أي: المكروه، كالمرض، والفقر، وأنواع البلايا﴿ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴾ أي: ييأس من رحمة الله -تعالى-، ويظن أن هذا البلاء هو القاضي عليه بالهلاك، ويتشوش من إتيان الأسباب على غير ما يحب ويطلب، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فإنهم إذا أصابهم الخير والنعمة والمحاب شكروا الله -تعالى-، وخافوا أن تكون نعم الله عليهم استدراجاً وإمهالاً، وإن أصابتهم مصيبة في أنفسهم، وأموالهم، وأولادهم، صبروا، ورجوا فضل ربهم، فلم ييأسوا»[1].

٤. استعجال إجابة الدعاء، وعدم الصبر، وبُغية حصوله حال الدعاء مباشرة،أو بعده بقليل لون من ألوان القنوط من رحمة الله عز وجل قد وقع فيه بعض المسلمين، وقد أشار النبي ﷺ، إلى ذلك بقوله: «يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول: دعوت فلم يستجب لي»[2]، فالاستعجال في إجابة

(١) تيسير الكريم الرحمن ص٧٥٢ .

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب أنه يستجاب للعبد ما لم يعجل ح٦٣٤٠، ومسلم في، باب بيان أنه يستجاب للداعى ما لم يعجل فيقول: دعوت فلم يستجب لي ٤/٢٠٩٥ .

الدعاء وتحقق المطلوب يدفع الإنسان للقنوط عند عدم حصول مراده[1]، إذ قول الداعي:لم يستجب لي، هو: إما استبطاء أو إظهار يأس وكلاهما مذموم[2].

٥. رؤية النعيم على بعض أهل الفسق والكفر، وانعدامه على أكثر أهل الصلاح والتقوى يقود من قل علمه، وقصر فهمه وعجز إدراكه إلى القنوط من فضل الله، واستبعاد حصوله قال أبو الوفاء ابن عقيل [ت٥١٣هـ]: «الواحد من العوام إذا رأى مراكب مقلدة بالذهب والفضة ودوراً مشيدة مملوءة بالخدم والزينة قال: انظر إلى ما أعطاهم مع سوء فعالهم، ولا يزال يلعنهم ويذم معطيهم، ويشفق حتى يقول: فلان يصلي الجماعات والجمع ولا يذوق قطرة خمر ولا يؤذي الذر ولا يأخذ ما ليس له ويؤدي الزكاة إذا كان له مال ويحج ويجاهد ولا ينال خلة بقلة ويظهر الإعجاب كأنه ينطق عن تخايله أنه لو كانت الشرائع حقاً لكان بخلاف ما نرى وكان الصالح غنياً والفاسق فقيراً»[3].

٦. تأخر إنجاب المولود لبعض الناس يصيبه بقنوط من

(١) ينظر: فتح الباري١١/١٤١ .

(٢) ينظر: مرقاة المفاتيح ٥/١١٧.

(٣) الآداب الشرعية لابن مفلح١/١٨٦، نقلاً عن كتاب الفنون لابن عقيل.

حصوله، وإذا ما طال به العمر وكبر في السن رجلاً كان أو امرأة ولم يتحقق له ذلك اشتد قنوطه وزاد يأسه، وفي قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ۝٥٥ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾[1] ما يدل على أن ذلك مظنة القنوط[2]، قال ابن جرير رحمه الله، في معنى الآية: «بشرناك بحق يقين وعلم منا بأن الله قد وهب لك غلاماً عليماً، فلا تكن من الذين يقنطون ـ من فضل الله فييأسون منه، ولكن أبشر بما بشرناك به واقبل البشرى»[3].

٧. تعدد النكبات على أمة الإسلام، وتسلط الأعداء، واستعلاء الكفار، وانتصارهم على المسلمين في زمن من الأزمنة يقود بعض الناس إلى القنوط من نصر الله تعالى لأوليائه وحزبه، وأن هذا لن يتحقق في الدنيا، و يحمل ما جاء من وعد الله عز وجل بذلك على أمر الآخرة، وقد وصف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، حصول هذا الأمر عند بعض الناس أبلغ وصف فقال: «الإنسان قد يسمع ويرى ما يصيب كثيراً من أهل الإيمان والإسلام في الدنيا من المصائب، وما يصيب

---

(١) سورة الحجر، الآيتان (٥٥ – ٥٦).

(٢) ينظر: تفسير آيات من القرآن الكريم لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب ص١٩٢.

(٣) ينظر جامع البيان ١٤/٤٠ .

كثيراً من الكفار والفجار في الدنيا من الرياسة والمال وغير ذلك فيعتقد أن النعيم في الدنيا لا يكون إلا لأهل الكفر والفجور، وأن المؤمنين ليس لهم في الدنيا ما يتنعمون به إلا قليلاً، وكذلك قد يعتقد أن العزة والنصرة قد تستقر للكفار والمنافقين على المؤمنين، وإذا سمع في القرآن قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [1]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [2]، وقوله تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾ [3]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [4] ونحو هذه الآيات وهو ممن يصدّق بالقرآن حمل ذلك على أن حصوله في الدار الآخرة فقط، وقال: أما الدنيا فما نرى بأعيننا إلا أن الكفار والمنافقين يظهرون ويغلِبون المؤمنين، ولهم العزة والنصرة، والقرآن لا يرد بخلاف المحسوس، ويعتمد على هذا فيما إذا أديل عليه عدو من جنس الكفار والمنافقين، أو الظالمين، وهو عند نفسه من أهل الإيمان والتقوى فيرى أن صاحب الباطل قد علا على صاحب الحق فيقول: أنا على

(١) سورة المنافقون، الآية (٨).

(٢) سورة الصافات، الآية (١٧٣).

(٣) سورة المجادلة، الآية (٢١).

(٤) سورة القصص، الآية (٨٣).

الحق وأنا مغلوب، وإذا ذكّره [إنسان]بما وعده الله من حسن العاقبة للمتقين قال: هذا في الآخرة فقط، وإذا قيل له: كيف يفعل الله -تعالى- بأوليائه مثل هذه الأمور؟ قال: يفعل ما يشاء،وربما قال بقلبه أو لسانه، أو كان حاله يقتضي أن هذا نوع من الظلم، وربما ذكر قول بعضهم: ما على الخلق أضر من الخالق[1]، لكن يقول: يفعل الله ما يشاء. وإذا ذكّر برحمة الله وحكمته لم يقل إلا أنه يفعل ما يشاء، فلا يعتقدون أن صاحب الحق والتقوى منصور ومؤيد، بل يعتقدون أن الله يفعل ما يشاء»[2].

٨. زادت ظاهرة النيل من ديننا ونبينا محمد، في العصور المتأخرة سواء كان ذلك من الكفار أو المنافقين؛ فقام بعض الغيورين بمواجهة هذا النيل بالسبل المتاحة، والطرق المستطاعة عملاً بقوله تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾[3]، وقوله سبحانه وتعالى:﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾[4] فزعم

---

(١) القائل هو: أبو طالب المكي. ينظر: تيسير العزيز الحميد ص٦١٦.

(٢) جامع الرسائل ٢/٣٢٤-٣٢٥، وينظر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن القيم ٢/١٧٦-١٧٧ فقد ساق الكلام بنصّه .

(٣) سورة التغابن، الآية (١٦).

(٤) سورة البقرة، الآية (٢٨٦).

بعض المتقاعسين والمثبّطين والمندفعين أن المواجهة بمثل ذلك لا فائدة منها، ولا أثر لها، وأخذ المتقاعسون والمثبّطون ينتظرون نصراً من غير سبب، وفرجاً من غير عمل، بينما ذهب المندفعون إلى وجوب سلوك مسالك في المواجهة غير متزنة ولا منضبطة، تؤدي إلى مفسدة أعظم، وتجر إلى مصيبة أكبر.

٩. يحرص بعض أولياء الأمور من آباء وغيرهم على هداية أولادهم وسلوكهم الطريق القويم والصراط المستقيم، وإذا ما انحرف بعض الأبناء دب إليهم اليأس والقنوط من هدايتهم فتركوا توجيههم إلى الخير وتحذيرهم من الشر، واكتفوا بمجرد الدعاء لهم بالهداية، وربما اشتد القنوط عند بعضهم فترك الدعاء -أيضاً-، وقد يستحوذ الشيطان على البعض فيستبدل الدعاء لهم بالدعاء عليهم وهذا من أعظم الجهل وأشنعه، ومسلك مخالف لهدي القرآن الكريم، وماكان عليه الأنبياء والمرسلون عليهم السلام، ودليل على استيلاء القنوط عليهم، وبلوغه منهم مبلغاً عظيماً.

هذه بعض مظاهر القنوط من رحمة الله سبحانه وتعالى، وسيأتي في مبحث علاج القنوط مايبين السبيل للخروج من هذه المظاهر، ويدفع ماقد يوجد من شبهات وإشكالات ربما كانت

عائقاً من الابتعاد عن هذا المسلك الخاطئ.

المبحث السادس: علاج القنوط من رحمة الله سبحانه وتعالى:

جاءت العقيدة الإسلامية بعلاج شامل ووافٍ لمثل هذه الانحرافات العقدية والسلوكية، وبيّنت الواجب على الإنسان أن يتبعه في حياته عقيدة وعبادة وسلوكاً، وحذرته من الإفراط والتفريط، والغلو والتقصير، ومما يعالج به القنوط من رحمة الله عز وجل ما يلي:

١. الإقلاع عن المعصية، والمبادرة في التوبة إلى الله سبحانه وتعالى، والإسراع إليها، وعدم التسويف فيها، ويدل لذلك الأمر أن الله عز وجل أمر به بعد النهي عن القنوط فقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾[1]، فالمبادرة إلى التوبة من الذنب فرض على الفور ولا يجوز تأخيرها فمتى أخرها عصى بالتأخير[2]، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[3]

(١) سورة الزمر، الآيتان (٥٣ – ٥٤).

(٢) ينظر: مدارج السالكين ١/٢٧٢.

(٣) سورة النساء، الآية (١٧).

قال الشيخ ابن سعدي رحمه الله: «من بادر إلى الإقلاع من حين صدور الذنب، وأناب إلى الله، وندم عليه فإن الله يتوب عليه، بخلاف من استمر على ذنبه، وأصر على عيوبه، حتى صارت فيه صفات راسخة، فإنه يعسر عليه إيجاد التوبة التامة. والغالب أنه لا يوفق للتوبة، ولا ييسر لأسبابها، كالذي يعمل السوء على علم قائم ويقين، متهاوناً بنظر الله إليه، فإنه يسد على نفسه باب الرحمة . نعم قد يوفق الله عبده المصرّ على الذنوب على عمد ويقين للتوبة النافعة التي يمحو بها ما سلف من سيئاته، وما تقدم من جناياته، ولكن الرحمة والتوفيق للأول أقرب»[1]، وينبغي أن يعلم أن التوبة المشروعة هي الرجوع إلى الله وإلى فعل ما أمر به وترك ما نهى عنه، وليست التوبة من فعل السيئات فقط كما يظن كثير من الجهال، لا يتصورون التوبة إلا عما يفعله العبد من القبائح كالفواحش والمظالم، بل التوبة من ترك الحسنات المأمور بها أهم من التوبة من فعل السيئات المنهي عنها؛ فأكثر الخلق يتركون كثيراً مما أمرهم الله به من أقوال القلوب وأعمالها وأقوال البدن وأعماله وقد لا

(١) تيسير الكريم الرحمن ص١٧٢.

يعلمون أن ذلك مما أمروا به أو يعلمون الحق ولا يتبعونه فيكونون إما ضالين بعدم العلم النافع، وإما مغضوباً عليهم بمعاندة الحق بعد معرفته[١].

٢. حُسن الظن بالله عز وجل من أقوى ما يُدفع به القنوط من رحمته، و قد حثّ النبي ﷺ، على حسن الظن بالله حيث قال: «لا يَمُوتَنَّ أحدكم إلا وهو يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ»[٢]. ومعنى حسن الظن بالله -تعالى-: أن يظن أن الله تعالى يرحمه، ويرجو ذلك، ويتدبر الآيات والأحاديث الواردة في كرم الله سبحانه وتعالى، وعفوه ورحمته وما وعد به أهل التوحيد، وما ينشره من الرحمة لهم يوم القيامة[٣]، مع الأخذ بالأسباب التي اقتضتها حكمة الله في شرعه وقدره وثوابه وكرامته، فيأتي العبد بها ثم يحسن ظنه بربه، ويرجوه ألّا يكله إليها وأن يجعلها موصلة إلى ما ينفعه ويصرف عنه ما يعرضها للحبوط ويبطل أثرها، فحسن الظن إن حمل على العمل وحثّ عليه وساعده وساق إليه فهو صحيح،

(١) ينظر: جامع الرسائل ١/٢٢٨.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت، ح٢٨٧٧.

(٣) ينظر: المجموع شرح المهذب٥/٩٨.

وإن دعا إلى البطالة والانهماك في المعاصي فهو غرور[١]، ومن مواطن حسن الظن بالله - تعالى- التي لا ينبغي للعبد أن يفارقه فيها أوقات الشدائد والمحن، وحلول المصائب في الأهل والمال والبدن؛ لئلا يقع بسبب عدم ذلك في الجزع والسخط[٢]، قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «فالقنوط من رحمة الله، واستبعاد الرحمة: من كبائر الذنوب، والواجب على الإنسان أن يحسن الظن بربه، إن دعاه أحسن الظن به بأنه سيجيبه، وإن تعبد له بمقتضى شرعه فليحسن الظن بأن الله سوف يقبل منه، وإن وقعت به شدة؛ فليحسن الظن بأن الله سوف يزيلها، لقول النبي ﷺ: «وَاعْلَمْ أن النَّصْرَ مع الصَّبْرِ، وأن الْفَرَجَ مع الْكَرْبِ، وأن مع الْعُسْرِ يُسْراً[٣]»[٤].

٣. النظر إلى سعة رحمة الله عز وجل ومغفرته، وعظيم فضله وبره، وكريم جوده وإحسانه مما يعين على البعد عن

---

(١) ينظر: الجواب الكافي ص٣٤-٣٥.

(٢) ينظر: مرقاة المفاتيح٥/١٢٩.

(٣) أخرجه الإمام أحمد ١/٣٠٧، وصحح إسناده الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة١/٤٩٧.

(٤) شرح العقيدة الواسطية ٢/٢٩ .

القنوط، فكيف يقنط من علم أن رحمة الله عز وجل وسعت كل شيء حيث قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[1] فالعالم العلوي والسفلي، والبر والفاجر، المؤمن والكافر بل كل مخلوق قد وصلت إليه رحمة الله العامة، وغمره فضله وإحسانه، والرحمة الخاصة المقتضية لسعادة الدنيا والآخرة، هي للذين تابوا وأنابوا[2]، وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾[3]؟! قال ابن كثير رحمه الله: «أي: رحمتك تسع ذنوبهم وخطاياهم»[4]، وقوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾[5] فالخلق كله تحت ملكه وتدبيره، قد بسط عليهم رحمته وإحسانه، وتغمدهم برحمته وامتنانه، وكتب على نفسه أن رحمته تسبق غضبه[6]، وأن

---

(١) سورة الأعراف، الآية (١٥٦).

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن ص٣٠٥.

(٣) سورة غافر، الآية (٧).

(٤) تفسير القرآن العظيم ٤/٧٣ .

(٥) سورة الأنعام، الآية (٥٤).

(٦) لحديث: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتَابًا قبل أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي» أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾، ومسلم في كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله- تعالى-، وأنها سبقت غضبه ح٢٧٥١.

العطاء أحب إليه من المنع، وأن الله قد فتح لجميع العباد أبواب الرحمة إن لم يغلقوا عليهم أبوابها بذنوبهم، ودعاهم إليها، إن لم تمنعهم من طلبها معاصيهم وعيوبهم[١]، بل كيف يسري القنوط إلى قلب إنسان حياته وعيشه وسكنه إنما هو في كنف رحمة الله عز وجل إذ يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ ﴾[٢]؟! فهذا دليل واضح وبرهان قوي على سعة رحمة الله، وجزيل فضله، ووجوب شكره، وكمال قدرته، وعظيم سلطانه، وسعة ملكه سبحانه وتعالى[٣].

٤. أخذ النفس بالرجاء المحمود الذي يحثّ على العمل، ويقود إليه، سبيل من السبل العظيمة في منع الاستسلام للقنوط، وقد ذكر ابن القيم، فوائد كثيرة لعبادة الرجاء منها[٤]:

- إظهار العبودية والفاقة والحاجة إلى ما يرجوه من ربه، ويستشرفه من إحسانه، وأنه لا يستغني عن فضله وإحسانه طرفة عين.

---

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن ص٢٥١ .

(٢) سورة القصص، الآية (٧٣).

(٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن ص٧٤١.

(٤) ينظر: مدارج السالكين٢/٥٠-٥١.

- أنه سبحانه وتعالى يحب من عباده أن يؤمّلوه ويرجوه ويسألوه من فضله.
- أن الرجاء حادٍ يحدو به في سيره إلى الله، ويطيب له المسير، ويحثه عليه، ويبعثه على ملازمته، فلولا الرجاء لما سار أحد؛ فإن الخوف وحده لا يحرك العبد وإنما يحركه الحب ويزعجه الخوف ويحدوه الرجاء.
- كلما اشتد رجاؤه وحصل له ما يرجوه ازداد حباً لله - تعالى -، وشكراً له، ورضى به وعنه.
- أنه يبعثه على أعلى المقامات وهو مقام الشكر الذي هو خلاصة العبودية.
- يوجب له المزيد من معرفة الله وأسمائه ومعانيها والتعلق بها.
- أن الخوف مستلزم للرجاء والرجاء مستلزم للخوف، فكل راج خائف وكل خائف راج، ولأجل هذا حسن وقوع الرجاء في موضع يحسن فيه وقوع الخوف قال تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ (١) أي: مالكم لا تخافون لله عظمة .
- في الرجاء من الانتظار والترقب والتوقع لفضل الله ما يوجب تعلق القلب بذكره، ودوام الالتفات إليه.

---

(١) سورة نوح، الآية (١٣).

قال النووي رحمه الله: «تتبعت الأحاديث الصحيحة في الخوف والرجاء، فوجدت أحاديث الرجاء أضعاف أحاديث الخوف مع ظهور الرجاء فيها»[١].

٥. تأخر الغيث واحتباس المطر له ضرر على البلاد والعباد، ولكن النظر في المصالح المتحققة من وراء ذلك يدفع القنوط، ويبعد اليأس، ويحل الأمل والرجاء بدلاً عنهما، ومن تلك المصالح صدق اللجوء إلى الله، والعودة إليه، والتوبة الصادقة، والبعد عن الذنوب والمعاصي، ولزوم الاستغفار، والتحلل من المظالم، والإكثار من الصدقات، والعطف على الأرامل والأيتام وغير ذلك من المصالح التي لولا احتباس المطر لما حصل كثير منها، بل هي من أعظم الأسباب التي تستجلب بها رحمة الله عز وجل، قال الشيخ محمد خليل هراس رحمه الله: «كيف يقنطون ورحمته وسعت كلَّ شيء، والأسباب لحصولها قد توفَّرت؟! فإن حاجة العباد وضرورتهم من أسباب رحمته، وكذا الدعاء بحصول الغيث والرجاء في الله من أسبابها، وقد جرت

(١) لم أقف عليه فيما لدي من كتب الإمام النووي، ونقله عنه الشيخ ملا علي قاري في مرقاة المفاتيح٥/١٢٩.

عادته سبحانه في خلقه أن الفرج مع الكرب، وأن اليسر مع العسر، وأن الشدة لا تدوم، فإذا انضمَّ إلى ذلك قوّة التجاء وطمع في فضل الله، وتضرع إليه ودعاء ؛ فتح الله عليهم من خزائن رحمته ما لا يخطر على البال»[1] .

٦. تأخر إجابة الدعاء، وعدم حصول عين المطلوب في الدعاء لا يستلزم القنوط، بل قد يكون في تأخر الإجابة أو عدم حصول المطلوب من المنافع العظيمة والفوائد الجليلة ما يتمنى الداعي أنه لم يتحقق دعاؤه حتى تستمر له هذه المكاسب، فمن ذلك: التذلل لله عز و جل، والانطراح والانكسار بين يديه، والتلذذ بمناجاته، والأنس به، والإلحاح في الدعاء، وإظهار المسكنة والافتقار والحاجة لرحمته ومنته ولطفه وإحسانه، وتعويد النفس على الصبر، والأمل، والرجاء، والرضا عن الله سبحانه وتعالى، والتسليم لقضائه وقدره وغير ذلك مما يصعب حصره، أو يمكن وصفه، فمن يملُّ من الدعاء يُخشى ألّا يقبل دعاؤه، لأن الدعاء عبادة حصلت الإجابة أو لم تحصل، وتأخيرُ الإجابة إما لأنه لم يأت وقتها، وإما لأنه لم يقدّر في الأزل قبول

---

(١) شرح العقيدة الواسطية ص١٧٠ .

دعائه في الدنيا ليعطى عوضه في الآخرة، وإما أن يؤخر القبول ليلحّ ويبالغ في ذلك فإن الله يحب الملحين في الدعاء، ومن يكثر قرع الباب يوشك أن يفتح له، ومن يكثر الدعاء يوشك أن يستجاب له(١)، فدعاء المؤمن لا يرد، غير أنه قد يكون الأولى له تأخير الإجابة، أو يعوّض بما هو أولى له عاجلاً أو آجلاً، فينبغي للمؤمن ألّا يترك الطلب من ربه فإنه متعبد بالدعاء كما هو متعبد بالتسليم والتفويض(٢).

٧. الرغبة في الولد، وتمني حصوله زينة دنيوية، وحاجة إنسانية كما قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ ﴾(٣)، وتأخر مجيئه لا ينبغي أن يكون باعثاً على القنوط من رحمة الله سبحانه وتعالى، فقد أنكر خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام على من كان هذا مسلكه حيث قال بعد أن بشرّته الملائكة عليهم السلام بالولد على كِبَرٍ منه، وعُقم في زوجته: ﴿ قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾(٤)، بل إن زكريا عليه السلام كان ظاهر حاله

(١) ينظر: شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك ٤٨/٢ .

(٢) ينظر: فتح الباري ١٤١/١١ .

(٣) سورة آل عمران، الآية (١٤).

(٤) سورة الحجر، الآية (٥٦).

قد يُستبعد معه حصول الولد، إذ كان كبيراً في السن، بدت عليه علامات الضعف والوهن، وزوجته عاقر إلا أن ذلك لم يمنعه من سؤال الله أن يرزقه ولداً صالحاً، جامعاً لمكارم الأخلاق، ومحامد الشيم، مرضياً عند الله وعند خلقه، وهذا أفضل ما يكون من الأولاد [1] كما قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ [2]، فلما كان دعاؤه وهو على تلك الحال دعاء موقن بالإجابة، غير مستبعد شيئاً عن قدرة الله عز وجل، بشّره الله سبحانه وتعالى بأكثر مما طلب، ومنحه أكثر مما أمّل ورغب فقال سبحانه وتعالى: ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [3] فالواجب -أيضاً- على أتباع الرسل عليهم السلام أن يسلكوا طريقهم، وينهجوا نهجهم، ويقتدوا بهم فيعلموا أن الله لا يعجزه شيء، فقدرته تامة كاملة، وإنما

---

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن ص٤٩٠ .

(٢) سورة مريم، الآيات (٤ - ٦).

(٣) سورة آل عمران، الآية (٣٩).

أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له: كن، فيكون.

٨. ما يصيب المسلم في دنياه من عجز ومرض، وبلاء ومحنة، وكرب وشدة يستلزم منه اللجوء إلى الله لكشف كربته، وزوال محنته، لا أن يكون ذلك سبباً لقنوطه، قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «لا ينبغي للإنسان إذا وقع في كربة أن يستبعد حصول مطلوبه أو كشف مكروبه، وكم من إنسان وقع في كربة وظن أن لا نجاة منها، فنجاه الله - سبحانه - إما: بعمل صالح سابق مثل ما وقع ليونس عليه السلام قال تعالى: ﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾[1]، أو بعمل لاحق، وذلك كدعاء الرسول، يوم بدر[2]، وليلة الأحزاب[3]، وكذلك أصحاب الغار[4]»[5].

٩. اليقين بنصر الله لأوليائه وحزبه في الدنيا والآخرة معاً،

---

(١) سورة الصافات، الآيتان (١٤٣ - ١٤٤).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب قوله ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾، ومسلم في كتاب الجهاد،باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر ١٣٨٣/٤ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب المغازي،باب غزوة الخندق ح٤٠٩٦، ومسلم في كتاب الجهاد، باب استحباب الدعاء بالنصر ١٣٦٣/٣ .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، باب حديث الغار ح٣٤٦٤، ومسلم في كتاب الرقاق، باب قصة أصحاب الغار ٢٠٩٩/٤.

(٥) القول المفيد٦٨٣/٢ .

وليس في الآخرة فقط هو ما يستوجبه صريح القرآن وشواهد السنة، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾[1] قال ابن كثير رحمه الله: «نصر الله نبيه محمداً، وأصحابه على من خالفه وناوأه وكذبه وعاداه، فجعل كلمته هي العليا، ودينه هو الظاهر على سائر الأديان، وأمره بالهجرة من بين ظهراني قومه إلى المدينة النبوية، وجعل له فيها أنصاراً وأعواناً، ثم منحه أكتاف المشركين يوم بدر فنصره عليهم وخذلهم وقتل صناديدهم، وأسر سراتهم فاستاقهم مقرنين في الأصفاد، ثم منّ عليهم بأخذه الفداء منهم، ثم بعد مدة قريبة فتح عليه مكة فقرت عينه ببلده وهو البلد المحرم الحرام المشرّف المعظم فأنقذه الله -تعالى- به مما كان فيه من الكفر والشرك، وفتح له اليمن ودانت له جزيرة العرب بكمالها، ودخل الناس في دين الله أفواجاً»[2]، بل قد وبّخ الله عز وجل من ظن مثل هذا الظن فقال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ

(١) سورة غافر، الآية (٥١).

(٢) تفسير القرآن العظيم٤/٨٥ .

هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴾[١] فهذه الآية الكريمة فيها من الوعد والبشارة بنصر الله لدينه، ولرسوله، وعباده المؤمنين ما لا يخفى، ومن تأييس الكافرين، الذين يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم، والله متم نوره، ولو كره الكافرون [٢]، وقد بيّن شيخ الإسلام ابن تيمية، المقدمات التي بُني عليها هذا الاعتقاد الفاسد فقال: «هذه الأقوال مبنية علي مقدمتين: **إحداهما**: حسن ظنه بدين نفسه نوعاً أو شخصاً، واعتقاد أنه قائم بما يجب عليه، وتارك ما نهي عنه في الدين الحق، واعتقاده في خصمه ونظيره خلاف ذلك أن دينه باطل نوعاً أو شخصاً لأنه ترك المأمور وفعل المحظور، والمقدمة **الثانية**: أن الله قد لا يؤيد صاحب الدين الحق وينصره وقد لا يجعل له العاقبة في الدنيا»[٣]، ثم بيّن فساد تلك المقدمتين فقال: «المقدمتان اللتان بنيت عليهما هذه البلية مبناهما على الجهل بأمر الله ونهيه، وبوعده ووعيده، فإن صاحبهما إذا اعتقد أنه قائم بالدين الحق فقد اعتقد أنه فاعل للمأمور تارك للمحظور وهو على العكس من ذلك،

---

(١) سورة الحج، الآية (١٥).

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص٥٢٥ .

(٣) جامع الرسائل٢/٣٢٥ .

وهذا يكون من جهله بالدين الحق وإذا اعتقد أن صاحب الحق لا ينصره الله في الدنيا بل قد تكون العاقبة في الدنيا للكفار على المؤمنين ولأهل الفجور على أهل البر فهذا من جهله بوعد الله تعالى، أما الأول: فما أكثر من يترك واجبات لا يعلم بها ولا بوجوبها، وما أكثر من يفعل محرمات لا يعلم بتحريمها، بل ما أكثر من يعبد الله بما حرّم ويترك ما أوجب، وما أكثر من يعتقد أنه هو المظلوم المحق من كل وجه، وأن خصمه هو الظالم المبطل من كل وجه ولا يكون الأمر كذلك، بل يكون معه نوع من الباطل والظلم ومع خصمه نوع من الحق والعدل....، وأما الثاني فما أكثر من يظن أن أهل الدين الحق في الدنيا يكونون أذلاء معذبين بما فيه، بخلاف من فارقهم إلى طاعة أخرى وسبيل آخر، ويكذّب بوعد الله بنصرهم»[1]، ثم ساق الشيخ، أكثر من خمسين آية تدل على نصر الله للمؤمنين في الدنيا والآخرة، وقال بعد ذلك مستكملاً الرد على تلك المقدمات الباطلة «هذا يتبين بأصلين أحدهما: أن حصول النصر وغيره من أنواع النعيم لطائفة أو شخص لا ينافي ما يقع في خلال ذلك من قتل بعضهم وجرحه، ومن أنواع الأذى، وذلك أن

---

(١) المصدر السابق٢/٣٢٧ -٣٢٨.

الخلق كلهم يموتون فليس في قتل الشهداء مصيبة زائدة على ما هو معتاد لبنى آدم ....، وأما الأصل الثاني: فإن التنعم إما بالأمور الدنيوية، وإما بالأمور الدينية. فأما الدنيوية فهي الحسية مثل الأكل، والشرب، والنكاح واللباس.... فالمؤمن والكافر والمنافق مشتركون في جنسها ....، وأما الدين: فجماعه شيئان تصديق الخبر، وطاعة الأمر، ومعلوم أن التنعم بالخبر بحسب شرفه وصدقه، والمؤمن معه من الخبر الصادق عن الله وعن مخلوقاته ما ليس مع غيره فهو من أعظم الناس نعيماً بذلك، بخلاف من يَكْثُر في أخبارهم الكذب، وأما طاعة الأمر فإن من كان ما يؤمر به صلاحاً وعدلاً ونافعاً يكون تنعمه به أعظم من تنعم من يؤمر بما ليس بصلاح ولا عدل ولا نافع.وهذا من الفرق بين الحق والباطل فإن الله سبحانه يقول في كتابه: ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۝٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴾[١]»[٢].

(١) سورة محمد، الآيات (١ - ٣).

(٢) جامع الرسائل ٢/٣٣٥-٣٤١ .

١٠. عدم اهتداء من ضل عن الصراط المستقيم ليس مانعاً من الاستمرار في دعوته إلى الخير، وبذل النصح له، وتوجيهه إلى البر والصلاح، وإذا كان هذا الضال عن سواء الصراط قريباً كَابنٍ ونحوه كانت المسؤولية أعظم، والمهمة أكبر، وترك مثل ذلك قنوطاً ويأساً من هدايته بُعْدٌ عن هدي سيد المرسلين وإمام المتقين عليه الصلاة والسلام، فإنه استمر في دعوة عمه، ومحاولة أن يهتدي حتى قبيل وفاته، فلم ييأس أو يقنط من إيمانه، ونزل عليه قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾[1] ليخبره «أنك وغيرك من باب أولى لا تقدر على هداية أحد، ولو كان من أحب الناس إليك، فإن هذا أمر غير مقدور للخلق هداية التوفيق، وخلق الإيمان في القلب، وإنما ذلك بيد الله - تعالى-، يهدي من يشاء، وهو أعلم بمن يصلح لها، فيبقيه على ضلاله. وأما إثبات الهداية للرسول في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[2] فتلك هداية البيان والإرشاد، فالرسول يبيّن الصراط

---

(١) سورة القصص، الآية (٥٦).

(٢) سورة الشورى، الآية (٥٢).

المستقيم، ويرغّب فيه، ويبذل جهده في سلوك الخلق له. وأما كونه يخلق في قلوبهم الإيمان، ويوفقهم بالفعل، فحاشا وكلا. ولهذا لو كان قادراً عليها لهدى من وصل إليه إحسانه، ونصره، ومنعه من قومه عمه أبا طالب، ولكنه أوصل إليه من الإحسان بالدعوة له للدين والنصح التام ما هو أعظم مما فعله معه عمه، ولكن الهداية بيد الله»[(١)]، قال الشيخ سليمان بن عبدالله ابن الشيخ محمد بن عبدالوهاب [ت١٢٣٣هـ] «رسول الله، أفضل الخلق، وأقربهم من الله، وأعظمهم جاهاً عنده ومع ذلك حرص واجتهد على هداية عمه أبي طالب في حياة أبي طالب وعند موته فلم يتيسر ذلك، ولم يقدر عليه»[(٢)] .

١١. فقرُ بعض المسلمين في الدنيا، وقلة ذات اليد عندهم، وشدة حاجتهم، ورؤية النعيم على أهل الكفر لا يجرُّ ذلك إلى التسخط من قضاء الله، والاعتراض على قدره، والقنوط من غناه وفضله ورزقه، فإن هذا اعتقاد فاسد، ويكفي في فساده أنه يقود إلى الظن بأن الله عز وجل يؤيد

---

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن ص٦٢٠ .

(٢) تيسير العزيز الحميد ص ٢٩٨ .

غير الصادق، ويلبس الحق بالباطل، بل مع هذا الاعتقاد الرديء لا يبقى ثقة في الشريعة[1]، لذا فالواجب هو تمام اليقين والعلم بحكمة الله سبحانه وتعالى البالغة، وكمال عدله، وتمام فضله ومنته، قال ابن عقيل رحمه الله: «إذا تأمل المتدين أفعال الخلق في مقابلة إنعام الحق استكثر لهم شم الهواء، واستقل لهم من الله سبحانه أكثر البلاء، إذا رأى هذه الدار المزخرفة بأنواع الزخاريف المعدة لجميع التصاريف، واصطباغاً وأشربة وأدوية وأقواتاً وإداماً وفاكهة إلى غير ذلك من العقاقير، ثم إرخاء السحاب بالغيوث في زمن الحاجات، ثم تطييب الأمزجة وإحياء النبات، وخلق هذه الأبنية على أحسن إتقان، وتسخير الرياح والنسيم المعد للأنفاس إلى غير ذلك من النعم، ثم نعمة العقل والذهن، ثم سائر الآيات الدالة على الصانع، ثم إنزال الكتب التي تحث على الطاعات وتردع عن المخالفة، ثم اللطف بالمكلف وإباحة الشرك مع الإكراه، وأمر بالجمعة فضايقوه في ساعة السعي بنفس ما نهى عنه من البيع في أبواب العبادات، وعظّموا كل ما

---

(١) ينظر: الآداب الشرعية ٢/١٩٦ .

هونه، وارتكبوا كل ما هوّله، حتى استخفوا بحرمة كتابه فأنا أستقل لهم كل محنة»[١]. كما أن الله عز وجل أخبرنا في كتابه أن متاع الدنيا زائل، وأن تمتع الكفار فيها قليل، وهو تمتع كتمتع بهيمة الأنعام، وأن عاقبتهم النار فقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾[٢] قال ابن كثير رحمه الله، في معنى الآية: «لا تنظر إلى ما هؤلاء الكفار مترفون فيه من النعمة والغبطة والسرور فعما قليل يزول هذا كله عنهم ويصبحون مرتهنين بأعمالهم السيئة، فإنما نمد لهم فيما هم فيه استدراجاً وجميع ما هم فيه ﴿ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾، وهذه الآية كقوله تعالى:﴿ مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ

(١) الآداب الشرعية ٢/١٩٦-١٩٧.

(٢) سورة محمد، الآية (١٢).

(٣) سورة غافر، الآية (٤).

(٤) سورة يونس، الآيتان (٦٩ - ٧٠).

نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ فَمَهِّلِ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ﴾[2]أي: قليلاً، وقال تعالى: ﴿ أَفَمَن وَعَدْنَـٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَـٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَـٰهُ مَتَـٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴾[3][4].

هذه بعض الأمور التي يمكن أن يعالج بها القنوط، نسأله سبحانه وتعالى ألّا يجعلنا من القانطين، وأن يجعلنا ممن يخافونه ويرجونه، ويؤمنون به ويتوكلون عليه، ويعبدونه ويستعينون به، إنه أجود مسؤول، وأكرم مأمول، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والشكر له على التوفيق والامتنان والفضل والإنعام لما يسّر من إكمال هذا البحث الذي كان من أهم نتائجه ما يلي:

١. القنوط في اللغة هو أشد أنواع اليأس .
٢. تنوعت عبارات العلماء في بيان المراد بالقنوط من رحمة الله عز وجل، وترجع كلها إلى أنه اليأس من رحمته.

---

(١) سورة لقمان، الآية (٢٤).

(٢) سورة الطارق، الآية (١٧).

(٣) سورة القصص، الآية (٦١).

(٤) تفسير القرآن العظيم ١/٤٤٢ .

٣. اختلف العلماء في الفرق بين اليأس والقنوط؛ فمنهم من قال: بأن اليأس أشد من القنوط لأن الله حكم على أهل اليأس بالكفر بينما حكم على أهل القنوط بالضلال، ومنهم من رأى أنه لا فرق بينهما ولا يلزم من الحكم على أهل اليأس بالكفر والقنوط بالضلال أن يكون اليأس أشد فربما اجتمع الوصفان في حق طائفة واحدة، وذهب بعضهم إلى أن الفرق في بعض الصفات لا أصل المعنى، ولعل الراجح - والله أعلم - وجود الفرق بينهما حال اجتماعهما في لفظ واحد، أما إذا افترقا - فالذي يظهر- أنهما بمعنى واحد.

٤. حذّر القرآن الكريم من القنوط من رحمة الله عز وجل بطرق متنوعة، وأساليب مختلفة زجراً من الوقوع فيه؛ فنهى جميع العباد عنه، ووصف أهله بالضلال، وبيّن أنه حال أهل الغفلة عن الله سبحانه وتعالى وتذكر نعمه، كما أنه يستولي على أهل الكفر ومن سار على دربهم.

٥. جاء تحذير السنة النبوية من القنوط من رحمة الله عز وجل بليغاً وقوياً في النهي عنه؛ إذ جعله النبي ﷺ، من الكبائر، وبيّن أن من وقع فيه فقد وقع في أمر مهلك هلاكاً شديداً يُخشى ألّا تكون معه نجاة .

٦. أهل السنة والجماعة وسط في باب الخوف والرجاء بين من

أمنوا مكر الله سبحانه وتعالى ومن قنطوا من رحمة الله، فمسلكهم في ذلك هو المسلك المعتدل، وطريقتهم هي الطريقة التي كان عليها الأنبياء والمرسلون عليهم السلام.

٧. للقنوط من رحمة الله عز وجل أسباب عديدة، منها: الإسراف في المعاصي، والجهل بسعة رحمة الله، وظنه أن الله لا يغفر له، وإغلاق باب الرجاء بالكلية، والاقتصار على الخوف، ونسيانه قدرة الله عليه وتمكنه منه حال عصيانه، والاستماع إلى المُقَنِّطين من رحمة الله، والجرأة على محارم الله، وعدم معرفة الأسباب الجالبة لرحمة الله، وكذا الإقامة على الأسباب المانعة من رحمة الله .

٨. من مظاهر القنوط من رحمة الله عز وجل القنوط من رحمة الله ومغفرته، وعند تأخر الغيث واحتباس المطر، وفي حال الفقر والمرض والبلاء، وعند تأخر إجابة الدعاء، وكذا تأخر إنجاب المولود، ومن مظاهره -أيضاً- القنوط من فضل الله ورزقه عند رؤية النعيم على أهل الفسق والكفر في الدنيا، وكذا القنوط من نصره وفرجه لأهل الإسلام في الدنيا عند رؤيته لغلبة الكفار في زمن من الأزمنة واشتداد وطأتهم على المؤمنين، وظنه أن نعيم الله ونصره للمؤمنين إنما يكون في الآخرة فقط، ومن مظاهر القنوط من رحمة الله

عز وجل القنوط من هداية الله لمن ضل عن سبيله.

٩. يعالج القنوط من رحمة الله سبحانه وتعالى بالإقلاع عن المعصية، والمبادرة إلى التوبة، وحسن الظن بالله، والأخذ بالرجاء المحمود الداعي إلى العمل، والنظرُ إلى المصالح العظيمة والمنافع الكثيرة عند احتباس المطر، وتأخر إجابة الدعاء، وعدم حصول الولد يدفع القنوط من رحمة الله في مثل هذه الأمور، كما يدفع اليقين بوعد الله ونصره للمؤمنين في الدنيا والآخرة، والعلم بحكمة الله سبحانه وتعالى البالغة، وكمال عدله، وتمام فضله ومنته يدفع ما يكون من القنوط من فضله عند رؤية النعيم على بعض أهل الكفر والفسق في الدنيا، ويعالج من يقنط هداية الضال عن سواء السبيل بدعوته إلى النظر في سيد المرسلين وإمام المتقين عليه الصلاة والسلام، حيث استمر في دعوة عمه أبي طالب، ومحاولة أن يهتدي حتى قبيل وفاته، فلم ييأس أو يقنط من إيمانه، وأن الواجب هو الإرشاد والدلالة للخير والصلاح، وأما التوفيق لقبول ذلك فهو لله وحده سبحانه وتعالى.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.